

شرح حائية ابن أبي

داود في العقيدة

قام بشرحه: منصور بن محمد

الصقوعوب

M0505148411@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين
أما بعد :

فلا يخفى على طالب العلم ما للعقيدة من أهمية في حياة المسلم ولذا ألف أبو حنيفة
كتابا في العقائد وسماه : الفقه الأكبر
وإذا كان الفقه مهما فعله فالعقيدة أهم وأعظم لأنها لا تقلد فيها . والخطأ فيها قد
يخرج العبد من دائرة الإسلام
ومعنا هذه المنظومة المسماة : بالحائية :
وسميت بذلك لان قافيتها الحاء فكل حرف منها يختتم بحرف الحاء

وهذه المنظومة منظومة نافعة مانعة مفيدة مهمة ولذلك لأمر

- ١- لجلالة مؤلفها : وهو الإمام عبد الله بن سليمان وهو بن صاحب السنن أبي داود وتأتى ترجمته
 - ٢- أن مؤلفها معروف بصفاء العقيدة وسلامتها .
 - ٣- أنها متعلقة بعلم العقيدة وهو من اشرف العلوم .
 - ٤- قلة أبياتها وسهولة عباراتها ويسر حفظها مما يعين على فهم معانيها .
- على قلة أبياتها فإنها حوت واشتملت على أهم مسائل العقيدة لاسيما مما وقع فيه الخلاف فيها بين أهل السنة وغيرهم

ولكل هذه الأمور فقد اعتنى بها العلماء قديما وحديثا في حفظها وشرحها وتدريسها
ولاقت عناية واهتماما كبيرا حتى قال الذهبي : وهذه المنظومة متواترة عن ناظمها
رواه الآجری وصنف لها شرحا وأبو عبد الله بن بطة في الإبانة .هـ
ولهذه المنظومة شروح قديمة وحديثة، تدل على عناية أهل العلم بها، واحتفائهم
بأبياتها، ومن أوسع وأفضل شروحها: لوائح الأنوار السنية ولوائح الأفكار السنية .
للسفاريني وقد طبع في مجلدين

● ترجمة الناظم

- اسمه : هو الإمام الحافظ المتقن : ابوبكر عبدالله بن الحافظ الإمام لى داود سليمان بن الأشعث السجستاني صاحب السنن .
- ولد في : سجستان سنة ٢٣٠ هـ .
- طلبه للعلم : اهتم به والده منذ الصغر فشرع في تعليمه والرحلة به شرقا وغربا إلى مدن كثيرة تتلمذ على أيدي شيوخها ناهلا من علمهم حتى برع في العلم وذاع صيته في البلدان ويكفى أن انقل خبرا واحدا يدل على جلال الناظم وحفظه . ذكر الخطيب في تاريخ بغداد ٤٤٦/٩ : أن أبا بكر بن داود (صاحب النظم) خرج إلى سجستان فاجتمع إليه أهل الحديث وسألوه أن يحدثهم فأبى وقال ليس معي كتاب فقالوا بن أبي داود وكتاب ١٩ قال ابوبكر : فأثاروني فأمليت عليهم ثلاثين ألف حديث من حفظي فلما قدمت بغداد قال البغداديون : مضى ابن أبي داود إلى سجستان ولعب بالناس فأرسلوا جماعة من الناس إلى سجستان ليكتبوا لهم النسخة التي أملت فكتبت وحيء بها بغداد . وعرضت على الحفاظ فخطئوني في ستة أحاديث منها ثلاثة حدثت بها كما حدثت وثلاثة أحاديث أخطأت فيها ١.هـ .
- مؤلفاته : نقل أن له مؤلفات منها . المسند والسنن التفسير القراءات الناسخ والمنسوخ وغير ذلك (اللوائح السننية ١٠١/١)
- وفاته : توفي سنة ٣١٦ هـ . وهو ابن ست وثمانين سنة وستة أشهر وقد صلى عليه جموع عظيمة قدرت بثلاثمائة ألف إنسان وأكثر
- شيوخه : من أبرزهم : أبوه صاحب السنن ومحمد بن يحيى الذهلي وإسحاق بن منصور الكوسج ومحمد بن بشار بن دار وغيرهم .
- تلاميذه : من أشهرهم : الدارقطني صاحب العلل وأبو عبد الله بن بطة صاحب الإبانة وأبو احمد الحاكم .
- عقيدة بن أبي داود : هذه المنظومة شاهدة على صفاء عقيدته وإتباعه لمنهج أهل السنة في ذلك وقد قال في آخر المنظومة هذا قولي وقول أبي ومن وقول إمامنا الإمام

احمد بن حنبل وقول من أدركنا من أهل العلم ومن لم ندرك فيما بلغنا عنه فمن قال غير هذا يعنى ما يخالفه فقد كذب هـ.ا .

● عدد أبياتها : ٣٣ بيتا . وهى حرية بان تحفظ وتعتقد

بسم الله الرحمن الرحيم.

- لم ينقل أن الناظم لم يذكر البسملة في أول المنظومة . ولعل ذلك راجع إلى أمور
- ١- أن هذه المنظومة جاءت في ترجمة المؤلف وليس من عادة أصحاب التراجم ذكر البسملة في أول المنظومات للعلماء في ثنايا تراجمهم .
 - ٢- لهضم نفسه واحتقارها وان هذه المنظومة ليست من المنظومات التي يهتم بها . وهذا فيه نظر
 - ٣- أن بعض السلف نقل عنه المنع من كتابة البسملة في الشعر . وهذا منقول عن الشعبي والزهري لكن الجمهور على جواز ذلك ما لم يكن الشعر محرما أو مكروها .

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ولا تك بدعيا لعلك تفلح
ودن بكتاب الله والسنن التي أتت عن رسول الله تنج وتربح

بدا المؤلف رحمه الله ببيان أمر هو أس الأمور ولبها :
ألا وهو الحث على التمسك والاعتصام بالكتاب والسنة وتجنب البدع، وما ضل من ضل
إلا بالتفريط في هذا الأمر العظيم، وما توالى البدع وتكاثر الفرق إلا حينما ابتعد الناس
عن الكتاب والسنة .

قال بن تيمية : وهذا الأصل العظيم وهو الاعتصام بجبل الله جميعا وان لا تتفرق هو من أعظم أصول الإسلام ومما عظمت وصية الله به في كتابه ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب أو غيرهم ومما عظمت به وصية النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن عامة وخاصة .أ.هـ. (الفتاوى ٣٥٩/٢٢) ثم ساق الأدلة على ذلك، وما أحوج أمة الإسلام اليوم وهى تعيش في فرقة واختلاف وفي وقت انتشرت فيه البدع والضلالات والفرق والجماعات إلى العودة إلى هذا الأصل وهو (الاعتصام بالكتاب والسنة).

واعلم أن الاعتصام بالكتاب والسنة والتمسك بها هو من أعظم أسباب النجاة من الفتن والفلاح في الدنيا والآخرة . ولكن كيف نعتصم بالكتاب والسنة : هذه مجملة تحتاج إلى قواعد : فمن القواعد.

- ١ - أن نحذر من كل شيء يؤدي إلى الفرقة
 - ٢ - التفقه في دين الله، بأن نتلقى العلوم الشرعية الضرورية
 - ٣ - أن يستمسك المسلم بدينه ويدعوا إلى التمسك بالدين
 - ٤ - أن نحرص على أن نحمل الأمانة من خلل العقيدة والابتعاد عن كل مايؤثر في صفاء العقيدة
 - ٥ - لزوم جماعة المسلمين ولزوم الطاعة .
- وجماع الأمور : أن نعمل بمقتضى كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام حسب فهم الأئمة من سلف الأمة كما قال الاوزاعي ندور مع الكتاب والسنة حيث دارا أ.هـ.
- وفي الحديث المشهور عن جابر في خطبة الجمعة : فان اصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها أ.هـ.
- تمسك بجبل الله** : المراد به : شرع الله من الكتاب المنزل وما شرعه الله ، على السنة رسوله .

- واتبع الهدى** : والمراد بالهدى : ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم .
- وقد ذكر العلماء : أن الهدى في الكتاب والسنة يطلق على أمرين.
- ١ - هداية الدلالة والإرشاد والبيان : فهذه تكون للمخلوق ولا يستلزم وجودها الهدى التام فإنها سبب وقد تحصل للشخص ولكن لا تنفعه . ومنها قوله "وانك

لتهدى إلى صراط مستقيم " وقوله "وأما **ثمود** فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى " أي بينا لهم وأرشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا .

٢- هداية التوفيق : فهذه تكون لله ولا تكون لأحد غيره وهذه الهداية المستلزمة للاهتمام وهى التي تنفع العبد إن هداه إليه . ومنها قوله " **يضل** من يشاء ويهدي من يشاء " وقوله " **إن تحرص** على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل " وقوله "اهدنا الصراط المستقيم" وقوله "ليس عليك هداهم".

* **تنبيه** : ويؤخذ من هذا الأمر بالتمسك بالكتاب والسنة. الرد على من يسمون بالقرآنيين الذين يقولون : لاناخذ إلا ما ورد بالقران وهذا ضلال وإلا فقد قال عليه السلام "ألا ابنى أوتيت القران ومثله معه""وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا"

ولا تك بدعيا : البدعة لغة : لها معاني منها : المحدث على غير مثال سابق ومنها الاختراع .

شرعا : عرفت بتعاريف كثيرة . وأحسن ما قيل في تعريفها ثلاثة تعاريف :

١- تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية : البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب (الفتاوى ١٠٧/٤)

٢- تعريف الشاطبي : الطريقة المخترعة في الدين تضاهى الشرعية يقصد بها التقرب إلى الله ولم يقم على صحتها دليل شرعي أصلاً أو وصفا " الاعتصام ٣٧/١ "

٣- تعريف العثيمين : ما احدث في الدين على خلاف ما كان عليه النبي عليه السلام وأصحابه من عقيدة أو عمل " شرح لمعة الاعتقاد "

وحينما نقول أهل البدع : فيراد بهم كل من احدث في الدين ما ليس منه في الاعتقادات والأقوال والأعمال فيدخل في ذلك :

كل أهل البدع الاعتقادية كالخوارج والماتريدية والمرجئة وغيرهم والبدع العملية كالقبورية والصوفية وأصحاب التوسلات البدعية والمزارات وغيرهم * واعلم : أن كل بدعة فهي ضلالة وخطأ من قسم البدع إلى حسنة وقيحة أو من جعلها تدور مع الأحكام الخمسة كالعز بن عبد السلام، وقد رد عليه بن تيمية .

وهنا مسالتان :

الأولى : تقسيم البدعة إلى بدعة محمودة وبدعة مذمومة فما وافق الشرع والسنة فهو محمود وما خالف السنة فهو مذموم وهذا قال به الشافعي محتجا بقول عمر نعمت البدعة واقره الصحابة على ذلك .

ولكن هذا التقسيم حادث وانه ما حدث إلا بعد القرون الثلاثة وأيضا ليس مراد الشافعي بالبدعة ماهى بدعة في الاصطلاح المعروف وقد ذكر بن رجب كلام الشافعي هذا وقال رحمه الله : ومراد الشافعي ما ذكرناه قبل من أصل البدعة المذمومة ما ليس له أصل في الشريعة ترجع إليه وهى البدعة في إطلاق الشرع وأما البدعة المحمودة فما وافق السنة يعنى : ما كان لها أصل من السنة ترجع إليه وإنما هي بدعة لغة لا شرعا لموافقتها السنة ١٥٠هـ. ولكن يبقى أن الذي عليه السلف بل ما ذكره المصطفى عليه السلام أن كل بدعة فهي ضلالة

والثاني : تقسيم البدعة إلى خمسة أقسام واجبة ومحرمة ومكروهة ومستحبة ومباحة وممن قال به العز بن عبد السلام وهذا التقسيم حادث ومردود بما تقدم من أن كل بدعة ضلالة وأيضا : رد الشاطبي بما معناه : أن هذا التقسيم أمر مخترع لا دليل عليه بل هو في نفسه متدامغ متناقض لماذا لان البدعة في الأصل ما ليس عليه دليل شرعي لا من نصوص الشرع ولا من قواعده وإلا فلو كان لها دليل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحت أو نحوه لما صارت بدعة .

*** إشكال :** إذا كانت كل البدع مذمومة فكيف نجيب على حديث " من سن في

الإسلام سنة حسنة فله أجرها واجر من عمل بها " ؟

= الجواب على هذا الحديث من عدة أوجه

١/ أن المراد بالحديث : من سن في العمل لا في التشريع ، بمعنى انه عمل ما هو مشروع مبتدأ ثم تابعه غيره فله مثل أجرهم ويشهد لهذا : قصة ورود الحديث فإنها في قصة القوم الحفاة العراة من مضر وهذه القصة معروفة .

٢/ أن المرد بذلك : من سن في الوسائل لا في المقاصد : اى الوسائل والطرق الموصلة إلى العبادات فان له أجرها واجر من عمل بها

مثاله : تبويب العلماء تأليفهم وقولهم أركان الصلاة عددها كذا _ المخيمات الدعوية ونحوها

٣/ أن الحديث يراد به من أحيا سنة ثابتة هجرت، يوضحه ما ورد عند الترمذي " من أحيا سنة من سنتي قد أميتت فان له من الأجر مثل من عمل بها (حقيقة البدعة للغامدي ١/٣٩٨)

* واعلم أن الإنسان لا يكون متابعا إلا إذا اقتدى في الشرع في ستة أمور:

- ١- في الجنس : كالأضحية بهيمة الأنعام فلا يخالف .
 - ٢- في القدر : فمثلا لايزيد ركعات العشاء على أربع .
 - ٣- في المكان : مثلا لا يقف بغير عرفات .
 - ٤- في الزمان فلا يصوم في غير رمضان ولا يحج في شوال .
 - ٥- في الكيفية : فالوضوء له كيفية لا يخالفها وهكذا .
 - ٦- في السبب : ككفارة اليمين إذا أتى بها قبل السبب وهو اليمين فهي مردودة .
- لعلك تفلاح** : الفلاح قيل فيه : أنه ليس في الكلام أجمع لخيري الدنيا والآخرة من الفلاح، وعلى هذا فالفلاح لمتبع الكتاب والسنة يكون في الدنيا والآخرة. وأما أهل البدع فلا يرتجى لهم الفلاح بل هم ابعد الناس عنه

ودن : فعل أمر من دان يدين دينا، والمرد : أقم دينك على الكتاب والسنة وامثل ماجاء فيهما .

تنجو : من جميع الآفات ومن كل شر وبلاء في الدنيا والآخرة
وتربح : الخير في الدنيا والآخرة ورضا رب البرية .

٣- وقل غير مخلوق كلام مليكنا ... بذلك دان الأتقياء وأفصحوا.

لما بين المؤلف أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة والإتباع وعدم الابتداع . بدأ الكلام على بعض المسائل التي وقع فيها الخلاف بين أهل السنة وبين غيرهم من أهل البدع وبدأ بمسألة خلق القرآن قبل غيرها والله اعلم لأمرين :

١ - لأنها مناسبة للكلام على التمسك بالكتاب والسنة

٢ - ولأنها من اكبر المسائل التي وقع فيها الخلاف لاسيما الناظم ولا يخفى ماأصاب الإمام أحمد وغيره من الأئمة من المحنة بسبب هذه المسألة

وقبل الخوض في مسألة خلق القرآن لابد من بيان مسألة هامة ألا وهي الكلام على صفة الكلام لله إذ أن الخلاف فيها هو الذي سبب الخلاف في مسألة خلق القرآن وقد اختلفت الأقوال في كلام الله إلى ما يقرب من سبعة أقوال لسنا بحاجة إلى عرضها لكن الذي عليه أهل السنة والجماعة في هذه المسألة - وهذا هو المقصود - هو : إثبات صفة الكلام لله على مايليق بجلاله وعظمته كالقول في بقية الصفات وان الله لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء ويكلم بصوت مسموع وهذا الكلام لايشابه كلام المخلوقين بل كما قال بعض السلف إذا أردت أن تعرف الفرق بين كلام الله وكلام المخلوقين فهو كالفرق بين الخالق والمخلوق، وهذا القول هو الصواب الذي عليه سلف الأمة.

وبناء على هذا القول فإن رأي السلف في مسألة القرآن أن القرآن جميعه كلام الله حروفه ومعانيه ليس شيء من ذلك كلام لغيره ولكن انزله على رسوله وليس القرآن اسم لمجرد المعنى ولا لمجرد الحرف بل هو لمجموعهما كما أنا المتكلم من الناس ليس هو مجرد الروح ولا لمجرد الجسد بل هو لمجموعهما .

هذا خلاصة ما عليه السلف من الاعتقاد في مسألة القرآن .

قال شيخ الإسلام بن تيمية في شرح العقيدة الواسطية : فصل من الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وأن الله تكلم به حقيقة وان هذا القرآن الذي أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام هو منزل حقيقة. لا كلام غيره ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك على أن يكون كلام الله

حقيقة فإن الكلام يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدأ لا من قاله مبلغاً مؤدياً، وهو كلام الله حروفه ومعانيه، وليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف.

وهذا الكلام في غاية التحرير ومعناه مبسوط في شروح الواسطية، ولكن نقف عند قوله (منه بدأ . واليه يعود). أما منه بدأ : فمعناه انه هو المتكلم به لم يخلقه في غيره . وإما إليه يعود : فالمراد به : ما جاء في الآثار أن القرآن يسرى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في القلوب منه أية.

قال الإمام أحمد : منه القرآن أى منه خرج وهو المتكلم به . واليه يعود : أى يرتفع القرآن دفعة واحدة عن الناس وترتفع تلاوته وأحكامه .

• من هم القائلون بخلق القرآن ؟

= هم الجهمية والمعتزلة والاشاعرة . ولكل طائفة وجهه

أما الجهمية : فمعلوم أنهم ينفون عن الله الأسماء والصفات ولذلك قالوا أن كلام الله مخلوق منفصل عنه خلقه في غيره وان القرآن مخلوق ولا يقولون هو كلام الله .

وأما المعتزلة : فيقولون أن القرآن كلام الله من باب إضافة المخلوق إلى الخالق فهو كلام الله حقيقة لكنه مخلوق كما أن الأرض والسماء والناقة والكعبة هي لله فكذلك كلام الله حروف خلقها الله وسمها كلاما كما خلق الناقة وسمها ناقة الله وهذا مبنى على أصلهم وهو نفى صفات الله .

أما الاشاعرة والكلابية : فيقولون الكلام نوعان : كلام لفظي وكلام نفسي . أما النفسي : فهو كلام الله ليس بحرف ولا صوت فهذا يضيفونه لله . وأما اللفظي : المشتمل على الحرف والصوت والذي هو القرآن فهو مخلوق . وأما القرآن الموجود الآن فهو عبارة أو حكاية عن كلام الله وأما القرآن فهو مخلوق من جملة المخلوقات .

وخلاصة قولهم : أن القرآن : هو المعاني دون الحروف . وللدرد على هذه الطوائف موطن آخر وهو واضح .

* الأدلة على كلام الله وان القرآن كلامه حقيقة .

الأدلة كثيرة جدا ويكفيك أن شيخ الإسلام في التسعينية ذكر ثمانية وسبعين وجها للرد على الاشاعرة في مسألة كلام الله .

● أما من القرآن : فقوله تعالى " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه "" وكلم الله موسى تكليما".

● وأما من السنة : فحديث أبي سعيد مرفوعا " يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك **فينادي بصوت** إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار.....".

أما الأدلة على كون القرآن كلام الله فقوله "قل نزله روح القدس من ربك" وهذا الذي عليه سلف الأمة كمالك والشافعي واحمد وغيرهم من قبلهم ومن بعدهم .

٤/ ولا تك في القرآن بالوقف قائلا ... كما قال أتباع لجهم وأسجحوا

الواقفة : هم فئة توقفوا في أمر القرآن : فلم يصرحوا بأنه كلام الله غير مخلوق ولم يصرحوا بأنه مخلوق . قال الإمام احمد " الواقفة : هم الذين يقولون أن القرآن كلام الله ولا يقولون غير مخلوق وهم من شر الفرق وأخبثها "

وإنما كانوا من شر الأصناف : لان من صرح بان القرآن مخلوق كالجهمية واضح بطلان قولهم فيرد عليهم بالبراهين والحجج وأما الواقفة : فهم لا يفصحون عن معتقدهم ويظنون أن في قولهم شيئا من الواسطية والاعتدال وهذا اخطر مايكون على العوام .

هل الواقفة قولهم قال به جهم ؟

الجهمية قالوا بخلق القرآن ولم يتوقفوا فيه ولكن عد العلماء الواقفة من فرق الجهمية لأنهم لم يصرحوا بنفي القول بخلق القرآن

وقد أنكر الأئمة مقولة الواقفة ومن أشهر من أنكرها الإمام احمد وغيره قال ابن تيمية في الفتاوى (٤٢٠/١٢): وكذلك ذم الواقفة وتضليلهم الذين لا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق مأثور

عن جمهور هؤلاء الأئمة كابن الماجشون وأبي مصعب وو كيع بن الجراح وأبي الوليد .

وأبي الوليد الجارودي صاحب الشافعي والإمام احمد وأبي ثور وإسحاق بن راهويه ومن لا يحصى عدده إلا الله .هـ.

٥/ ولا تقل القرآن خلقا قرأته ... فإن كلام الله باللفظ يوضح
أشار الناظم إلى مسألة أخرى ألا وهى بدعة اللفظية الذين يقولون لفظي بالقران مخلوق
وهذه الكلمة تحتل أمرين .

أ- تحتل حركة اللسان وصوت الإنسان فهذه مخلوقة .
ب- وتحتل الملفوظ والمقرؤ وهو كلام الله فهذا غير مخلوق . وعلى هذا فكون الإنسان
يقول لفظي بالقران مخلوق فما معناه ؟
= هي دائرة على الاحتمالين المتقدمين . لكن الإمام احمد قال : من قال لفظي بالقران
مخلوق فهو جهمي فكيف قال ذلك ؟
قال الإمام احمد ذلك لاحتمالين

إما لان هذا القول من شعار الجهمية . وإنما هو للتبليس على الناس فكان الإمام احمد
يقول : إذا سمعت الرجل يقول لفظي بالقران مخلوق فاعلم بأنه جهمي .
٢- وإما أن يكونه ذلك حين يريد القائل بالفظ الملفوظ به وهو الآيات . وهذا اقرب لان
احمد نفسه فسره فقال : من قال لفظي بالقران مخلوق يريد القران فهو جهمي (شرح الواسطية
للغنيمين ٩٦/٢ فتاوى بن تيمية)

إذن فهل يقول الإنسان لفظي بالقران غير مخلوق ؟
قال أحمد ومن قال لفظي بالقران غير مخلوق فهو مبتدع . ولعل ذلك والله اعلم لأمرين .
١- أن هذا القول لم يعهده السلف بل كانوا يقولون : القران كلام الله غير مخلوق .
٢- أن هذا المقولة كذلك تحتل أمرين : تحتل حركة اللسان وهى مخلوقة وتحتل المقرؤ
وهو غير مخلوق وهذا كله يبين لك أهمية الإلتباع في أمر العقيدة وعدم الابتداع وان
الإنسان يقف حيث وقف القوم حتى في الألفاظ وعلى هذا فيقال القران كلام الله غير
مخلوق .

ثم قال الناظم : فان كلام الله باللفظ يوضح: والمراد : القران كلام الله ألفاظه ومعانيه
وليس كلام الله اللفظ دون المعنى ولا المعنى دون اللفظ . بل اللفظ به يوضح المعنى ويبين
المراد

بقى إن يقال: ينقل عن البخاري انه يقول (لفظي بالقران مخلوق) فهل يصح عنه ؟

ورد عنه أنه امتحن ببغداد على هذا فقال : ألفاظنا من أفعالنا وأفعالنا مخلوقة وفهم بعضهم من هذا انه يقول لفظي بالقران مخلوق وحصل له بسبب ذلك ابتلاء .
وقد كان يقول هو عن نفسه : من زعم أنى قلت : لفظي بالقران مخلوق فهو كذاب فاني لم اقله إلا أنى قلت : أفعال العباد مخلوقة وأطال صاحب سير أعلام النبلاء في بيان موقفه (٤٥٧/١٢) .

٦/ وقل يتجلى الله للخلق جهرة ... كما البدر لا يخفى وربك أوضح

تكلم المؤلف هنا على مسألة الرؤية : وهى من المسائل العظيمة التي وقع فيها الخلاف بين المسلمين .

قال بن أبي العز : وهذه المسألة من اشرف مسائل أصول الدين واجلها : وهى الغاية التي شمر إليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون وحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون .

واعلم أن الناس في رؤية الله طرفان ووسط وهم على ثلاث طوائف الأولى : أن الله يرى في الدنيا والآخرة : وهذا قال به بعض الصوفية والمبتدعة ولا شك انه باطل . وقد اتفقت الأمة على انه لا يراه احد في الدنيا بعينه وتنازعوا في محمد عليه الصلاة والسلام هل رآه بعينه أم لا ؟

والذي عليه جمهور سلف الأمة انه ﷺ لم يره بعينه في الدنيا ويدل لذلك أدلة :
حديث أبي ذر رضي الله عنه " هل رأيت ربك فقال نور أنى أراه " اى كيف أراه والنور بيني وبينه يمنعني من رؤيته وفى لفظ " رأيت نورا " وهو الحجاب .
حديث عروة بن الزبير عن عائشة > أنها قالت له " من زعم أن محمد رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية " .

حديث " واعلموا أن احد منكم لن يرى ربه حتى يموت " رواه احمد
ومن قال أن الأولياء أو غيرهم يرى الله بعينه فى الدنيا فهو ضال مبتدع . (الطحاوية ٢٩٧/١)
الثانية : أن الله لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة : وهذا قول الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم واستدلوا بأدلة :

قوله تعالى " قال لن تراني " فنفى الله الرؤية عن موسى ب(لن) .

والجواب : أن هذه الآية نفسها هي دليل على إثبات الرؤية من ما يقرب على ثمانية أوجه منها :

انه لا يظن بموسى كليم الله أن يسأل محالا لا يجوز عليه .

أن الله لم ينكر عليه سؤاله ولما سأل نوح عليه السلام نجاته ابنه أنكر عليه سؤاله .

انه قال "لن تراني" ولم يقل لا أرى أو لا تجوز رؤيتي " أو لست بمرئي والفرق بين اللفظين ظاهر فقوله لن تراني يدل على انه يرى ولكن قوة موسى لا تحتل رؤيته في هذه الدار لضعف قوى البشر عن رؤية الله ولذلك لما تجلى للجبل على صلابته تكددك ولم يثبت فكيف بالبشر الضعيف.

أن الله علق الرؤية بشيء ممكن وهو استقرار الجبل وما علق بممكن فهو ممكن والله قادر أن يجعل الجبل مستقرا .

انه إذا جاز أن يتجلى الله للجبل الذي هو جهاد لاثواب عليه ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريههم نفسه وقد زال عنهم الضعف وخلفه القوة .

واستدلوا أيضا على نفى الرؤية بقوله " لا تدركه الأبصار " :

والجواب عنها : أن هذه الآية أتت بها على سبيل التمدح أن الله لا يدرك وان رؤى فالإدراك المنفى هو الإحاطة وليست الرؤية ولذلك لما سئل بن عباس عن ذلك قال للسائل الست ترى الشمس قال : بلى قال أكلها ترى ؟ قال لا . قال الله أعظم . وقد قال تعالى " فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون . قال كلا " فثبت الرؤية ونفى الإدراك فدل على أن الإدراك غير الرؤية " شرح التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان ٢/٢٩٠ " .

واستدلوا أيضا بدليل عقلي وهو : أن إثبات الرؤية يلزم منه إثبات أن الله في جهة وإذا كان في جهة فهو جسم والله منزّه عن ذلك فجاء الاشعرية وأرادوا أن يخرجوا من هذا وقالوا : الله يرى لكن لا من جهة وهذه رؤية غير معقولة ولذلك سخر المعتزلة من الاشاعرة لإثباتهم الرؤية ونفيهم الجهة .

أما أهل السنة فيقولون :

ماذا تريدون بالجهة أ. - إن أردتم بها انه حال في شيء من مخلوقاته : فهذا باطل ولا يلزم من إثبات الرؤية.

ب- وان أردتم بالجهة أن الله فوق مخلوقاته بائن منها فهذا ثابت لله ولا يتنافى مع رؤيته سبحانه .

وقد قال بن تيمية : كونه الرؤية مستلزمه لان يكون الله في جهة من الرائي أمر ثابت بالنصوص المتواترة كما في قوله "هل تضامون في رؤية الشمس" فهذا فيه مع إخبار أنهم يرونه في جهة منهم من وجوه ثم ساقها " التوحيد للغنيمان ١٥٥/٢ " الطائفة الثالثة : وهم أهل السنة : أن الله يرى في الآخرة لا في الدنيا وهو الذي دلت عليه الأدلة المتواترة من القران والسنة :

فمن القران ١٠ - " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " قال العلماء الحسنى : هي الجنة . والزيادة : النظر إلى وجهه الكريم .

٢ - " كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " قال الشافعي : لما أنحجب عن هؤلاء في السخط كان في هذا دليل أن أولياؤه يرونه في الرضي .

٣ - " وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة " فالنظر هنا عدى بإلي فمعناه المعاينة بالإبصار " شرح السفاريني ٢٨٧/١ " .

- وأما من السنة : فقد رويت عن ما يقرب من ثلاثين صحابيا فلا مجال لإنكارها . ومنها حديث أبي هريرة مرفوعا " هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر . قالوا لا قال فإنكم ترونه كذلك " .

وهذا معنى قول الناظم " كما البدر لا يخفى وربك أوضح " فالتشبيه هنا للرؤية بالرؤية لالمرئي بالمرئي وإنما شبه رؤية الله برؤية الشمس والقمر صحوا . لأنه ليس في الموجودات المرئية في الدنيا أعظم من الشمس والقمر . فتبين أن المؤمنين يرون ربهم أكمل ما يعرف من الرؤية وأنهم لا يضامون في رؤيته : اى لا يلحقهم ضيم وتعيب . ولا يضارون : اى لا يلحقهم ضرر .

وليس بمولود وليس بوالد ... وليس له شبه تعالى المسبح

مناسبة هذا البيت بعد الكلام عن الرؤية : انه ربما ظن ظان أن معنى كون الله يرى انه يشبه خلقه فبين هنا أن الله لا يشبه بأحد من خلقه وانه لم يلد ولم يولد وانه لا يعنى كون الله تعالى له صفة كصفة المخلوق أن تكون الصفتان متماثلتان ولذلك والله المثل الأعلى فالفيل له قوى والذر لها قوة ولكن أين قوتها من قوة الفيل وكما أنا لله ذات لا تشبه الذوات فله صفات تليق بجلاله وكماله لا تشبه الصفات .
واعلم أن الله تعالى : ليس له شبيه ولا نظير بل هو احد صمد تعالى وتعاضم لا يشبهه احد من خلقه بل هو :

حي وقيوم فلا ينام وجل أن يشبهه الأنام
وقد قال " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " وقال " ولم يكن له كفوا أحد "

وقد ينكر الجهمي هذا وعندنا ... بمصداق ما قلنا حديث مصرح
رواه جرير عن مقال محمد ... فقل مثل ما قد قال في ذاك تنجح

يقول الناظم رحمه الله : أن الجهمي المبتدع الذي ينتسب إلى فرقة الجهمية المنسوبة لرأسهم الجهم بن صفوان قد ينكر الرؤية لم تقدم من الحجج التي احبنا عليها . وفوق ذلك أن عندنا أهل السنة حديث مصرح بما قلنا صحيح ثابت متواتر . رواه جرير بن عبد الله البجلي عن محمد عليه الصلاة والسلام .

وهذا حديث لفظه " قال : كنا جلوسا ليلة مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا " يعنى : الفجر والعصر . متفق عليه .

● وصف رؤية المؤمنين لله ومحاضرتهم له .

قال شيخ الإسلام : وهذا الحديث من اصح الأحاديث على وجه الأرض المتلقاة بالقبول اجمع عليها عند العلماء بالحديث وسائر أهل السنة الفتاوى ٤٢١/٦ .

ثم قال الناظم : قل يا صاحب السنة مثل ما قال رسول الله لا كما يقول الجهمية المعطلة في ذاك :
اي في مسألة الرؤية أو غيرها من مسائل صفات الله عموما لكي تنجح وتفوز وتفلاح بإذن الله .

وقد ينكر الجهمي أيضا يمينه ... وكلتا يديه بالفواضل تنفح

الفواضل : جمع فاضلة وهو الخير والجلود والعطاء . تنفح : النفح وهو العطاء . وفي بعض النسخ
تنضح : وهو الرش أشار الناظم في هذا البيت إلى صفة من صفات الله الذاتية وهو صفة اليد لن
صفات الله نوعان

١- ذاتية : وهى التي لا تنفك عن ذاته ولا تعلق لها بالمشيئة . كاليد والرجل والأصبع والعين
ونحوه

٢- فعلية : وهى التحى تتعلق بالمشيئة . كالاستواء والتزول والمجيء وتسمى الأفعال الاختيارية

.

والصفات الذاتية نوعان :

أ- معنوية : كالحياة والعلم والقدرة والحكمة ونحوها

ب- خبرية : كالوجه ونحوها مما هي بالنسبة لنا أبعاض وأجزاء وقد ذكر صفة اليد لله
تعالى ومنهج أهل السنة في جميع الصفات أنها تثبت لله بلا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف
ولا تمثيل بل كما يليق بجلاله وعظمته وأنهم يقفون مع النصوص حيث وقفت ولا يؤولونها
كقوله تعالى " وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يدها
مبسوطتان. " وقوله " لما خلقت بيدي. " وقوله عليه الصلاة والسلام " يطوى الله
السموات بيمينه ثم يهزهن ويقول أنا الملك "

وفي هذا البيت ثلاث مباحث

-المبحث الأول : من ضل في صفة اليد ؟ طائفتان : وهم المعطلة المؤولة . والمشبهة
الممثلة .

١- أنكرها الجهمية والمعتزلة والاشاعرة بحجة أن إثبات اليد لله يعنى تشبيهه بالمخلوق فهم
وقعوا في التشبيه أولا ثم عطلوا ثانيا

فما موقف هؤلاء من النصوص التي تثبت صفة اليد ؟

أولوها وقالوا أن اليد المراد بها القدرة أو النعمة .

وكيف نرد عليهم : نقول نرد عليهم من عدة أوجه .

أ- أن هذا التأويل مصادم لأدلة الكتاب والسنة الصريحة في إثبات اليدين لله

ب- لو كان المراد باليد القدرة لوجب أن يكون له قدرتان " لما خلقت بيدي " وقد
اجمع المسلمون أنه لا يجوز أن يكون لله قدرتان وكذا لا يجوز أن يقال " خلق آدم
بنعمتين لان نعمه على ادم لا تخصي .

ورد في حديث بن عمرو مرفوعا " أن الله لم يباشر بيده أو لم يخلق بيده إلا ثلاثا خلق

آدم بيده وغرس جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده "

قال بن القيم : هل يصح في عقل أو نقل أو فطرة أن يقال لم يخلق بقدرته أو نعمته إلا
ثلاثا .

٣- لو كان المراد باليد القدرة لبطل تخصيص آدم فان جميع المخلوقات حتى إبليس مخلوقات
بقدرته فلا مزية لآدم على إبليس في قوله " أن تسجد لما خلقت بيدي " . وقد رد بن القيم
على الذين عطلوا صفة اليد وأولوها بالقدرة أو النعمة أو نحوها ما يقرب من عشرين
وجها .

الطائفة الثانية التي ضلت : المشبهة : الذين يمثلون صفات الله بصفات خلقه فقالوا لله يد لكن
كأيدي خلقه وكذا قالوا في بقية الصفات كالسمع والبصر ولا شك أن هذا ضلال وكفر ومناقض
لقوله " ليس كمثله شيء " .

المبحث الثاني : لفظ اليد جاء في القرآن على ثلاثة أنواع مفردا بيده الملك " وثني " لما خلقت
بيدي " وجموعا " مما عملت أيدينا " فكيف الجمع بينهما؟

يقال بالنسبة للمفرد : فالمفرد المضاف يعم ويراد به أكثر من واحد وكثيرا ما يراد به الجنس
فيتناوله سواء أكان واحدا أو اثنين أو ثلاثة فلا يعارض الثنية ولا الجمع .

وبالنسبة لصيغة الثنية : فإنها نص في مسمائها لأنها من أسماء العدد ومعتقد أهل السنة إنهما يدان
حقيقتان .

وبالنسبة لصيغ الجمع : فيجاب عليها بجوابين ١ - على قول من قال أن اقل الجمع اثنان فلا إشكال في ذلك .

٢ - على القول بان اقل الجمع ثلاثة وهو قول الأكثر فان صيغة الجمع تقتضى التعظيم الذي يستحقه سبحانه ومثل هذا في القرآن كثير . يسمى الرب نفسه من الأسماء المضمرة بصيغة الجمع على سبيل التعظيم لنفسه كقوله " إنا فتحنا لك فتحا مبينا " " نحن قسمنا بينهم معيشتهم " .
المبحث الثالث : ورد في الحديث كلتا يديه يمين " وفي الحديث " ثم يقبض الأرض بشماله " فكيف الجمع ؟

الصواب أن يقال أن العرب معلوم عندهم أن اليد اليمين هي أقوى واشرف من الشمال وهى التي تباشر كثيرا من الأشياء هذا بالنسبة للمخلوق .
أما الخالق . فان يديه سبحانه هما في القوة والشرف كلتاهما يمين اى كلتاهما في القوة والشرف والقوة سواء
أما في المكان . فلا يقال بان كلاهما في جهة اليمين بل إحدهما في اليمين والأخرى في الشمال .

وقل ينزل الجبار في كل ليلة ... بلا كيف جل الواحد المتمدح
إلى طبق الدنيا يمن بفضله ... فتفرج أبواب السماء وتفتح
يقول : ألا مستغفر يلحق غافرا ... ومستمنح خيرا ورزقا فأمنح
روى ذاك قوم لا يرد حديثهم ... ألا خاب قوم كذبوهم وقبحوا

تكلم الناظم في هذه الأبيات عن صفة النزول لله تعالى إلى السماء الدنيا وهذه الصفة كغيرها وقع فيها الخلاف بين أهل السنة وغيرهم من المعطلة النفاة . وفي هذه البيات مسائل

- مذهب أهل السنة في هذا .

إثبات أن الله يتزل كل ليلة إلى السماء الدنيا نزولا يليق بجلاله وعظمته لا يشابه نزول المخلوق ويقولون نثبت نزول الله ولكن كيف يكون ؟ لا يعلم ذلك إلا هو سبحانه ونقول فيها كما قال مالك وربيعة ومثلهم أم سلمة في الاستواء " الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة " فكذلك النزول معلوم ونعلم أن لتزول الله كيفية ولكن لانعلم هذه كيفية فأفهامنا قاصرة عن إدراك هذه الأمور وكما أننا نثبت له ذاتا لاتشبه الذوات فكذلك نثبت له صفات لاتشبه الصفات .

قال بن تيمية رحمه الله : مذهب سلف الأمة انه مع نزوله إلى السماء الدنيا لايزال فوق العرش لا يكون تحت المخلوقات ولا تكون المخلوقات محيطة به بل هو العلى الأعلى العلى في دنوه القريب في علوه . (فتاوى ٣٩٧/٥).

وقال رحمه الله في التدمورية (ص ٣٠) : إذا قال لك كيف يتزل ربنا إلى سماء الدنيا . قل كيف هو في ذاته فإذا قال أنا لا

اعلم كيفية قيل له ونحن لانعلم كيفية نزوله إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف وهو فرع له وتابع له . ا.هـ .

واخرج البخاري في خلق أفعال العباد قال القاضي عياض إذا قال لك الجهمي أنا اكفر برب يزول عن مكانه . اى يتزل فقال أنا أو من برب يفعل مايشاء.

١- ينبغي على الإنسان تحرى هذا الوقت

٢- وقد خالف في هذه الصفة وأنكرها طوائف من أهل البدع : وهم الجهمية والمعتزلة والاشاعرة .

وحجتهم في هذا ما هو معلوم منهم أن المتصف بالصفات لابد أن يكون جسما والأجسام متماثلة وقالوا انه لا يليق بالله أن يتزل ولو أثبتنا له التزول لأثبتنا له الحركة والانتقال والمكان وهذه الأمور من صفات الحوادث والله منزله عن الحوادث

- إذن فكيف تأول هؤلاء حديث التزول الثابتة عن المصطفى عليه الصلاة والسلام ؟
- لهم في ذلك تأويلان .

- فأولها قوم : بان المراد يتزل أمره ورحمته . وأجيب عن هذا .
- بأنه لا يعقل أن يكون أمره ورحمته تقول من يدعوني فاستجيب له
- إن حدد لتزوله الثلث الأخير ولو كان أمره أو رحمته لم يحدد بذلك فهي تتزل في كل وقت
- أن الأصل إثبات الكلام وعدم الحذف وهذا لقولهم : فيه محذوف وهو يتزل أمر ربنا
- وتأولها آخرون فقالوا . بان الذي يتزل هو ملك من الملائكة فيقول هذا الكلام . وهذا باطل من وجوه .
- ١- أن الملائكة لاتزال تتزل بالليل والنهار إلى الأرض فلماذا خص هذا الوقت
- ٢- أن المنادى عن غيره لا يقول بلسانه بل يقول بلسان من أمره بذلك وعلى هذا فلو كان ملكا فيأمر يقول إن الله يقول من يدعوني فاستجيب له ... (انظر الفتاوى ٥/٣٥-٣٧-٤٧)
- وأما حديث أبي هريرة وأبي سعيد مرفوعا " إن الله يمهّل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديا يقول هل من داع فليستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى . فيجواب عنه بجوابين
- انه ضعيف فيه حفص بن غياث تغير بآخره وقد خالف الثقات كشعبة ومنصور بن المعتمر ومعمّر بن راشد وفضيل بن غزوان فرووه بلفظ " حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول نزل إلى السماء الدنيا فيقول ... "ولذلك فقد ضعف الالباني هذا الحديث في الضعيفة ٣٨٩٧ وفي الارواء رقم ٤٥٠"
- وعلى فرض ثبوته فيقال : إن الله يقول ذلك بنفسه ويتزل ويأمر ملكا ينادى بذلك قال بن القيم : وای بعد في أن يأمر مناديا ينادى هل من سائل فيستجاب له ثم يقول هو سبحانه من يسألني فاستجيب له وهل هذا إلا ابلغ في الكرم والإحسان أن يأمر مناديا يقول ذلك ويقول سبحانه بنفسه تهذيب السنن ٧/١٢٧-١٢٦"

٣- ثم قال الناظم : روى ذاك قوم لا يرد حديثهم

ويقصد بهذا حديث التزول " **يترل ربنا** تبارك وتعالى كل ليلة إذا مضى ثلث الليل الأول يقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يستغفري فأغفر له فلا يزال كذلك إلى الفجر.

" وهذا الحديث ذكر بن القيم في الصواعق انه رواه ثمانية وعشرين صحابيا وذكرهم

وذكر بن تيمية والذهبي وابن القيم والسيوطي أن حديث التزول متواتر

فخاب وخسر من كذب هؤلاء الرواة الاثبات الناقلين عن رسول الله عليه السلام المرسل من رب البريات

وقل إن خير الناس بعد محمد ... وزيراه قدما ، ثم عثمان أرجح
ورابعهم خير البرية بعدهم ... علي حليف الخير ، بالخير منجح

أشار الناظم في هذه الأبيات إلى معتقد أهل السنة والجماعة في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وتحت هذا مباحث

الأول : الصحابي : هو من لقي النبي مؤمنا به ومات على ذلك ولو تخللته ردة .

الثاني : مسألة التفضيل بين الصحابة ؟

اجمع أهل السنة أن أفضل الأمة بعد نبيها ابوبكر الصديق خليفة رسول الله وصاحب

الفضائل الوافرة والخصال الحميدة والذي ورد فيه من الفضائل والثناء الكثير والكثير .

ثم بعده : عمر بن الخطاب وقد ورد في فضائله أحاديث كثيرة ليس هذا مجال سوقها .

ثم اختلف أهل السنة بعد ذلك على ثلاثة أقوال

فقدم قوم عثمان على علي في الأفضلية : وهذا قول أكثر السلف والصحابة حتى روى عن

بن عمر وأبي هريرة وقوله " كنا وفينا رسول الله نفضل ابابكر ثم عمر ثم عثمان ثم

نسكت " وفي صحيح البخاري عن محمد بن الحنفية قال قلت لأبي يعنى على بن أبي

طالب اى الناس خير بعد رسول الله قال أبو بكر قلت ثم من قال عمر وخشيت أن يقول عثمان قلت ثم أنت قال ما أنا إلا واحد من المسلمين .

- ١- وقدم قوم عليا على عثمان : وممن يرى ذلك سفيان الثوري ولكن ذكر بن تيمية انه رجع عن ذلك " الفتاوى ٤/٢٦٤ "
 - ٢- وقوم توقفوا عن المفاضلة : ونقل التوقف عن جماعة من السلف منهم مالك ويحيى بن القطان وابن معين " التوضيحات ١٧/٢ " لكن الذي استقر عليه أهل السنة : هو الأمر الأول وهو تقديم عثمان لأمر
 - ١- للآثار الواردة في مناقب عثمان ومن ذلك ماورد عن بن عمر كنا نقول ورسول الله حي أفضل الأمة بعده ابوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وفي لفظ يبلغ ذلك رسول الله فلا ينكره " وقال بن عوف لعلى في بيعة عثمان إني نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان
 - ٢- إجماع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة وما ذاك إلا لأنه أفضل وقد قال أيوب السخيتاني : من قدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار لأنهم قدموه في الخلافة
 - ٣- انه استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم علي كما سبق أنهم قدموه في البيعة لكن هذه المسألة من خالف فيها فلا يبدع لأنها مسألة اجتهادية لكن الذي يضل فيها وينكر ويبدع من خالف في مسألة الخلافة فاعتقد أن عليا يقدم على عثمان لان هذا باتفاق الصحابة .
- قال بن تيمية في الواسطية . وان كانت هذه المسألة تقديم عثمان على علي ليست من الأصول التي يضل بها المخلف عند جمهور أهل السنة لكن التي يضل فيها مسألة الخلافة وذلك يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ابوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ومن طعن في خلافة احد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله
- فالخلاصة : في تقديم علي على غيره من الثلاثة أن لها حالات ثلاث
- أ- تقديمه في الخلافة : فهذا ضلال بالاتفاق

ب- تقديمه في الفضيلة على أبي بكر وعمر : هذا ضلال حتى قال احمد :

من فضل عليا على أبي بكر وعمر وقدمه عليهما في الفضيلة والإمامة

دون النسب فهو رافضي مبتدع فاسق

ت- تقديمه في الفضيلة على عثمان : فلا يضل وان كان خلاف الراجح

شرح الواسطية للفوزان ١٧٦

وهذا معنى كلام الناظم : إن خير الناس بعد نبهم وزيرا ابو بكر وعمر .

قدما :اي منذ القدم حين كان بمكة

وقد ورد في الحديث " أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين

والآخرين إلا النبيين والمرسلين " صححه الالباني وغيره " ثم عثمان

الأرجح : كأنه يشير إلى الخلاف بين أهل السنة وان الأرجح تقديم عثمان

كما تقدم .

وإنهم و الرهط لا ريب فيهم ... على نجب الفردوس في الخلد تسرح

سعيد وسعد وابن عوف وطلحة ... وعامر فهر والزبير الممدوح

الرهط : يطلق على مادون العشرة وفيل ما بين الثلاثة ال العشرة

نجب الفردوس : جمع نجيب وهو اكرم المال وأنفسه . والمراد أنهم يسرحون

في الجنة على نجب الفردوس وهى النوق الكريمة والخيل الكريمة يروحون

عليها ويغدون .

وأشار الناظم في هاتين البيتين إلى أن الخلفاء الأربعة ومن ذكر بعدهم من الستة هم العشرة

الذين بشرهم رسول الله بالجنة فلا ريب ولا شك في دخولهم إياها وهم بعد الخلفاء ١ -

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ٢ - سعد بن أبي وقاص ٣ - عبد الرحمن بن عوف ٤ -

طلحة بن عبيد الله ٥ - ابو عبيدة عامر بن الجراح الفهري ٦ - الزبير بن العوام . ويدل

لذلك ما رواه الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف مرفوعا " **أبو بكر في الجنة** و عمر في

الجنة و عثمان في الجنة و علي في الجنة و طلحة في الجنة و الزبير في الجنة و عبد الرحمن بن عوف في الجنة و سعد في الجنة و سعيد في الجنة و أبو عبيدة بن الجراح في الجنة"

وقل خير قول في الصحابة كلهم ... ولا تك طعانا تعيب وتجرح
فقد نطق الوحي المبين بفضلهم ... وفي الفتح آي في الصحابة تمدح
لما تكلم الناظم عن العشرة المبشرين بين

١- أن من عقيدة أهل السنة في جميع الصحابة : محبتهم وموالاتهم والثناء عليهم
وعدم طعنهم وتجريحهم والترضى عنهم والاستغفار لهم ومعرفة سابقتهم
وفضلهم وذلك لأمر

١- لأنهم خير القرون كما في الحديث المشهور " خير الناس قرني "

٢- لأنهم هم الواسطة بين رسول الله وأمتة فمنهم تلقت الأمة الشريعة وهم
تحملوها وبلغوها والنيل منهم نيل من الدين

٣- لجهادهم مع رسول الله ونصرته وما كان على أيديهم من الفتوحات العظيمة

٤- ما كانوا عليه من الخير والفضل والأخلاق في أنفسهم والنصح لإخوانهم مما
لا يدركهم منه احد .

وقد أثني الله على من جاء بعد الصحابة وكيف انه يكون موقفهم من الصحابة :

سلامة الصدر من الغل وسلامة اللسان كما قال " والذين جاءوا من بعدهم يقولون

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا

.. "وهذا ما ينبغي للمسلم مع أصحاب رسول الله الذين هم خير الناس بعد الأنبياء وقد

قال بن مسعود " إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه و سلم

خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب

محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه

..."أحمد والطيالسي .

ولأجل كل هذا فقد جاء للتحذير الشديد والوعد الأكيد لمن سب أصحاب رسول الله

حيث قال عليه الصلاة والسلام " لاتسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا

ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه "وقال بن عباس : " لا تسبوا أصحاب محمد فلمقام
احدهم ساعة يعنى مع النبي خير من عمل أحدكم أربعين سنة " بن ماجة بسند
صحيح .

٢- وقد قرر العلماء أن الصحابة كلهم عدول بإجماع العلماء فلا يفتش عنهم .
حكى الإجماع ابن الصلاح وابن عبد البر والجويني .

٣- ثم قال الناظم : وفي الفتح اى للصحابة تمده و يقصد بها سورة الفتح التي ورد
فيها آيات في مدح الصحابة . كقوله " **لقد رضي** الله عن المؤمنين إذ يبايعونك
تحت الشجرة ... " وآخر السورة " محمد رسول الله والذين معه أشداء على
الكفار رحماء بينهم "

٤- مسألة /هل سب الصحابة كفر أو لا ؟
هذه المسألة لها حالات ١- أن يسبهم كلهم بالكفر أو الفسق أو يسب معظمهم في
دينهم وعدالتهم :فهذا كفر لأنهم حملة القرآن والسنة

٢- أن يسب من تواترت النصوص بفضله سبا يطعن في دينهم وعدالتهم كالخلفاء
الراشدين وغيرهم : فلا شك انه كفر

٣- أن يسب من لم تتواتر النصوص بفضله ففيه قولان : قال بعضهم : يكفر .
وقال أكثر العلماء : لا يكفر إلا إذا سبهم من حيث الصفة .

٤- أن يسب بعضهم سبا لا يطعن في الدين والعدالة وإنما يرجع إلى الأخلاق والفهم
ونحو ذلك كان يصف بعضهم بالبخل أو قلة الراى أو عدم الفهم : فهذا فاسق
يستحق التعذير

٥- أن يقذف عائشة أو يسبها بما براها الله منه : فهذا كفر لأنه تكذيب للقران .

٦- أن يقذف أمهات المؤمنين بما برا الله منه عائشة : فالأكثر انه كفر بذلك "

شرح المشيخ "

وبالقدر المقدور أيقن فإنه ... دعامة عقد الدين والدين أفيح أشار الناظم في
هذا البيت إلى عقيدة أهل السنة في القضاء والقدر .

١- والقضاء : لغة الحكم والفصل . والقدر لغة : قدرت الشيء اى أحطت بمقداره

وأما في الاصطلاح : تقدير الله الأشياء في القدم وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة وكتابتة لذلك ومشيتته له ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقها لها " القضاء المحمود ٣٩ "

٢- وعقيدة أهل السنة : أنهم يؤمنون بالقضاء والقدر خيره وشره وان من أنكره فليس بمؤمن بل هو ركن من أركان الإيمان كما في حديث جبريل " وتؤمن بالقدر خيره وشره " وقد قال ابن القيم بعد ذكر آثار الإيمان بالقضاء والقدر : هذه الآثار كلها تبين أن من لم يؤمن بالقدر فقد انسلخ من التوحيد ولبس جلباب الشرك بل لم يؤمن بالله ولم يعرفه ا.هـ.

والأدلة على إثبات القدر والإيمان به كثيرة :
فمن القرآن " إنا كل شيء خلقناه بقدر " وقوله " ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها "
ومن السنة : حديث جبريل المشهور . والإجماع : منعقد على وجوبه عند السلف من الصحابة والتابعين .
قال طاووس : أدركت ثلاثمائة من أصحاب رسول الله كلهم يقولون أن كل شيء بقدر . ا.هـ .

٣- مراتب الإيمان بالقدر .
اعلم أن الإيمان بالقدر لا يكون إلا بالإيمان بمراتب القدر وهى أربع مراتب .
الأولى : مرتبة العلم : وهى الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء وانه علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وانه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم وعلم أرزاقهم وآجالهم وحركاتهم وسكناتهم ومن هم أهل الجنة ومن هم أهل النار

والأدلة على هذه المرتبة كثيرة منها " لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما "" يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما يتزل من السماء وما يعرج فيها " وحديث بن عباس : سئل رسول الله عن اولاد المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين " متفق عليه .

الثانية : مرتبة الكتابة : وهى ان الله كتب كل شىء فى اللوح المحفوظ ما كان وما سيكون الى يوم القيامة

والأدلة على هذه المرتبة: " وكل صغير وكبير مستطر "" ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير " وحديث بن عمرو مرفوعا " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة "

الثالثة : مرتبة المشيئة : وهو الإيمان بان كل مايجرى فى الكون فهو بمشيئة الله فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلا يخرج عن إرادته الكونية شىء والأدلة على هذه المرتبة " وما تشاءون إلا أن يشاء الله "" من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم "

الرابعة : مرتبة الخلق : وهى الإيمان بان الله خالق كل شىء وموجده ومن ذلك أفعال العباد فلا يقع فى الكون شىء إلا والله خالقه .

والأدلة على هذه المرتبة : " قال أتعبدون ما تحتون (٩٥) والله خلقكم وما تعملون " اى خلقكم وخلق عملكم فهذه المراتب الأربعة هي مراتب القدر التى يجب الإيمان بها . وجمعها بعضهم بقوله .

علم كتابة مولانا مشيئته وخالقه وهو إيجاد وتكوين.

ثم نذكر بعد ذلك مباحث متعلقة بالإيمان بالقدر .

خالفهم فى ذلك . وهما فرقتان

١ - غلاة القدرية : وهم الذين ينكرون العلم والكتابة فيعتقدون أن الله

لايعلم بالفعل من العبد إلا بعد وقوعه منه ولم يكتبه فى اللوح المحفوظ

. ويقولون أن الله أمر ونهى وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه بل الأمر

انف ا مستأنف لم يسبق في علم الله وتقديره

٢- وأول من قال بهذا معبد الجهنى ثم أخذه عنه غيلان الدمشقي وهذا القول أول ما احدث في الإسلام بعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين ويقال أن أول ما حدث في الحجاز بعدما احترقت الكعبة فقال رجل احترقت بقدر الله فقال آخر لم يقدر الله هذا " لوائح الأنوار ١٢١/٢ "

ماذا كان موقف السلف من هذه الأحداث

رد عليهم بقية الصحابة كابن عمر وابن عباس ووائل بن الاسقع . وقال بن عمر : إذا لقيت أولئك فاخبرهم انى بريء منهم وأنهم براءؤ منى : وكفرهم الأئمة كمالك والشافعي واحمد ولكن ذكر العلماء ومنهم القرطبي حيث قال : قد انقرض هذا المذهب فلا يعرف احد ينسب إليه " فتح البارى ١٤٥/١ . لوائح الانوار ١٢٣/٢ ."

٢_ من القدريّة : المقرون بالعلم ولكنهم خالفوا السلف فى زعمهم أن أفعال العباد واقعة منهم على وجه الاستقلال وان الله لم يخلق أفعال العباد. والقائلون بهذا هم المعتزلة بناء على احد أصولهم وهو العدل .

وما شبهتهم وحجتهم فى هذا : يقولون : كيف يخلق الله الأفعال فيهم ثم يعاقبهم على ما خلق فيهم . فهذا ظلم فاضطروا إلى القول بان العبد يخلق فعل نفسه . وهذا الأمر عليه عامة القدريّة .

كيف كان موقف السلف منهم :

رد عليهم السلف وسموهم مجوس هذه الأمة لأنهم شابهوا المجوس الذين يثبتون خالقين خالق الخير وهو اله النور وخالق الشر وهو اله الظلمة وكذلك القدريّة يقولون : الحوادث نوعان حوادث من فعل اله وهذه من خلق الله وحوادث من فعل العباد فهذه للعباد استقلالاً وليس لله فيها خلق .

قابل القدرية الجبرية : وهم قوم غلوا في الإثبات حتى قالوا ليس للعبد قدرة واختيارا ونفوا أفعال العباد وزعموا أنهم لا يفعلون شيئا وإنما الفاعل حقيقة هو الله وأما العبد فهو كالمرتعش الذي لا قدرة له وكالجماد الذي لا قدرة وإنما سموا جبرية : لأنهم نسبوا إلى الجبر ومعناه نفى الفعل عن العبد وإضافته للرب أى أن الله يجبر العباد على أعمالهم فهم مجبرون ليس لهم دور فيها وإنما تضاف لهم الأعمال على جهة المجاز فقط .

وأول من قال بالجبر : الجعد بن درهم وأخذه عنه الجهم بن صفوان وقالت بذلك طائفته الجهمية وهنا فائدتان

- ١- أن الجهم له عدة آراء باطلة أشهرها ثلاث ١- قوله بالقدر وأخذه عنه الجبرية ٢- غلوه في الإرجاء حيث زعم أن الإيمان مجرد المعرفة وأخذه عنه المرجئة ٣-

تعطيل صفات الله وهو مذهب الجهمية .

٢- الجهمية والمعتزلة يتفقون في باب الصفات فكلاهما ينفيها أما في باب القدر فالمعتزلة يسمون قدرية والجهمية يسمون جبرية .

- واعلم أن منشأ الخلاف بين الناس في القدر : هو عدم التفريق بين الشرع والقدر . وتوهم التعارض بين الإرادة الكونية والشرعية . ونبينها هنا فنقول . الإرادة نوعان ١- شرعية قدرية : ٢- كونية قدرية .

أما الشرعية فهي المتضمنة لما يحبه الله ويرضاه .

وأما الكونية : فهي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث .

وقد تجتمع الإرادتان كما في إسلام المسلم : فهو يحبه الله وهو قد وقع كونا وقدرًا .

وقد تقع الإرادة الكونية دون الشرعية : كما في كفر أبي جهل فهو وقع كونا وقد ولا يريد شرعا .

وقد تقع الإرادة الشرعية دون الكونية : كما في إسلام أبي جهل فهو يريد الله شرعا ولم يردده قدرا وكونا .

فان قيل : كيف يوقع الله أمرا وهو لا يرضاه ولا يحبه فهل يكرهه احد على أن يوقع مالا يحب ؟

فالجواب : إن الله فاعل ماشاء لا مكره له لكن لا بد أن نعلم أمرا وهو أن المراد نوعان : ١-مراده لنفسه . ٢-مراده لغيره .

فالمراد لنفسه : مطلوب محبوب لذاته سبحانه فهو مراد .

والمراد لغيره : قد لا يكون مقصودا للمريد ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته وان كان وسيلة إلى مقصوده ومراده فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته ومراده له من حيث انه يفضى ويوصل إلى ما يريد فيجتمع فيه أمران : بغضه وإرادته ولا يتنافيان لاختلاف متعلقهما
مثال ذلك :

الدواء الكريه الذي فيه الشفاء بإرادة الله يشربه الإنسان وهو يكرهه لذاته لكن يفعل له لأجل انه يوصل إلى مراده وهو الشفاء .

مثال آخر : الإيمان محبوب لله والكفر مكروه له فأوقع الكفر وهو مكروه له لمصالح عظيمة منها انه لولا وجود الكفر ما عرف الإيمان وما عرف الناس قدر نعمة الله عليهم ولما قام الجهاد والدعوة إلى الله ولكان خلق النار عبثا ولكان الناس امة واحدة

لكن : لماذا من الله بالهداية للمؤمنين دون الكفار ؟

يقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فهو سبحانه هدى عباده كلهم النجدين وبين لهم طريق الخير والشر وخلق بينهم وبين الهداية فأرسل الرسل ليردوهم إلى الصراط المستقيم وأقام لهم أسباب الهداية ظاهرا وباطنا ولم يحل بينهم وبين الهداية ثم زاد البعض أن وفقهم وتفضل عليهم وهداهم للإسلام (بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) ولم يظلم الكفار لأنه قد أقام الحجة عليهم .

المبحث الثاني : كيف نجتمع بين كون الأعمال داخلية تحت قدر الله ومشيتته وخلقها وبين كونها من فعل العبد

يقال باى شيء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرها وشرها .

الجواب : بقدرة العبد وإرادته . فيقال من الذي خلق العبد ومشيتته وإرادته .
فالجواب : هو الله الذي خلق ما تقع به الأفعال فهو الخالق للأفعال سبحانه .
ومع ذلك : فهو تعالى أمد المؤمنين بأسباب وإعانات متنوعة وصرف عنهم
الموانع كما في الحديث " أما من كان من أهل السعادة فييسر إلى عمل أهل
السعادة " ووكّل الفساق إلى أنفسهم ولم يعنهم لأنهم لم يؤمنوا به ولم يتوكلوا
عليه فولاهم ماتولوه لأنفسهم . وعلى هذا: يكون الفعل يتعلق به أمران.
١ - الخلق . ٢ - المباشرة : فالخلق يتعلق بالله . ونسبة
الفعل إلى الله خلقا وتقديرا .

والمباشرة تتعلق بالعبد فهو الذي باشره وصار كسب له (ادخلوا الجنة بما
كنتم تعملون) وهذا باختيار العبد لا بإجبار فنسبة الفعل إليه كسبا وتحصيلا .
وفى هذا يقول بن القيم رحمه الله : الفعل وقع بقدرة الرب خلقا وتكويننا كما
وقعت سائر المخلوقات بقدرته وبقدرة العبد سببا ومباشرة . والله خلق الفعل
والعبد فعله وباشره والقدرة الحادثة وأثرها واقعان بقدرة الرب ومشيتته "
شفاء العليل "

المبحث الثالث : كيف نجمع بين حديث " بالقدر خير وشره " وقول
المصطفى " والشر ليس إليك " ؟

يقال القضاء والفعل هو بالنسبة وبالإضافة إلى العبد فيه خير وشر والشر جزئي
بسبب جهله وظلمه وذنوبه وبالإضافة إلى الخالق سبحانه : فهو خير كله وهو
خير وحكمة وربما كانت الحكمة خافية على المخلوق .

مثال ذلك : قوله تعالى " ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس
ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون " فظهور الفساد شر بالنسبة إلى
المخلوق لكن بالنسبة لله خير لعلهم يرجعون .

ولابد أن نوقن :

أن الله لا يخلق شيئا ولا يقدر أمرا إلا والحكمة ظاهرة أو خفية . وفيه الخير
للعباد آجلا أو عاجلا .

ولا تنكرون جهلا نكيرا ومنكرا ... ولا الحوض والميزان إنك تنصح

أشار الناظم في هذا البيت إلى إثبات أمور ثلاثة مما يكون في اليوم الآخر وقد ذكرها دون غيرها اختصارا وليبين أن غيرها مما سيكون في يوم القيامة يجب الإيمان به كهذه الأشياء الثلاثة ومعلوم أن الإيمان باليوم ركن من أركان الإيمان التي يجب اعتقادها ، ولكن ما المراد باليوم الآخر ؟ ذكر بن تيمية ضابطا فيما يدخل في اليوم الآخر فقال : ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت : وهذا ضابط يشمل أمور كثيرة يجمعها أمران : ١ - كل ما يكون في البرزخ وهو القبر .

٢ - كل ما يكون في يوم القيامة . وذكر المؤلف هنا ثلاثة أمور فنذكرها ثم نسرد بعد ذلك ما لم يذكره

١ - فتنة القبر : والمراد بها سؤال الملكين وهذا ثابت عن النبي عليه الصلاة والسلام فيعتقد أهل السنة أن الميت إذا مات فإنه يسأل من قبل الملكين ثم بعد السؤال إما أن ينعم وإما أن يعذب . وتحت هذا الأصل مباحث :

المبحث الأول : على من تكون فتنة القبر ؟

١ - الأنبياء : اختلف فيهم والذي عليه أكثر الناس أنهم لا يفتنون في قبرهم لوجهين .

أ - أن الأنبياء أفضل من الشهداء وقد ورد في الحديث " كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة "

ب - أن الأنبياء يسأل عنهم فيقال للميت من نبيك ولذا قال عليه الصلاة والسلام : " انه أوحى إلى أنكم تفتنون في قبوركم "

٢ - الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله في المعركة : لايسألون لظهور صدق إيمانهم بجهادهم والله اعلم بنياتهم وتقدم حديث ط كفى ببارقة السيوف"

٣ - المرابطون : لايفتنون لما ورد عند مسلم عن سلمان مرفوعا " رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وامن الفتان "

٤ - غير المكلفين كالصغار والمجانين : قولان

القول الأول : أنهم يمتحنون . قال بن تيمية : وهو قول أهل السنة .
القول الثاني : أنهم لايمتحنون لان المحنة إنما تكون لمن يكلف في الدنيا الفتاوى
٢٨٠/٤"

٥ - بقية الناس : يسألون ويفتنون .

٦ - المبحث الثاني : هل الأمم السابقة تفتن في قبورها.

قولان : والذي اختاره جماعة من العلماء . ومنهم القرطبي وابن القيم وابن أبي العز : أنهم يسألون وكل نبي مع أمته كأمة محمد . لأنه إذا كانت هذه الأمة اشرف الأمم تسال فكذا من دونهما من باب أولى (التذكرة ١٤٧/١ الروح ٨٦/١ الطحاوية ٦١٢/٢)

المبحث الثالث :هل الكفار يسألون في قبورهم ؟

جمهور العلماء . واختاره بن تيمية وابن القيم أن السؤال عام للمؤمن والكافر والمنافق وقد ورد في الحديث " وأما الكافر والمنافق فيقول لا أدري .

المبحث الرابع : هل تثبت تسمية الملكين بالمنكر والنكير ؟

جاء في الحديث عند الترمذي تسميتهما بالمنكر والنكير بالتعريف والحديث حسنه الترمذي والشييانى الالبانى ولا يصح ما قيل : أن اسمهما للمؤمن المطيع مبشر وبشير " السلسلة الصحيحة ٣/٣٨٠ احاديث حديث البرزخ ١٧٠

المبحث الخامس :

هل العذاب والنعيم في القبر على الروح أو البدن أو كلاهما ؟
الذي قرره بن تيمية : أن العذاب والنعيم في القبر يكون على الروح والبدن
تابع لها . بمعنى أن الروح تعذب لكن الجسم يتأثر لذلك تبعاً وليس على سبيل
الاستقلال الفتاوى ٢٨٨/٤ شرح الواسطية للعثيمين ١٢٠/٢

المبحث السادس : المعذبون ف القبر نوعان

- ١- من عذابه دائماً : وهم الكفار ويدل لذلك " النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا "
- ٢- من عذابه إلى مدة ثم ينقطع : وهو عذاب بعض العصاة فيعذب
على قدر معاصيه ثم يخف وقد ينقطع عنه العذاب إما بدعاء أو
صدقة أو استغفار عنه ونحوه من الأسباب " التنبيهات السننية
٢٢٤ أحاديث البرزخ ٨٩/١ الروح "
- ٣- الحوض : وتحت مباحث
الأول اعتقاد أهل السنة في الحوض انه ثابت ويكون في عرصات
القيامة وان من شرب منه لم يظماً أبدا ولا يرد عليه إلا أهل الإيمان
المتبعون لشريعة محمد عليه السلام وأما غيرهم فيزادون عنه كما يزداد
البعير الضال
والأدلة على إثباته كثيرة منها
١- حديث انس مرفوعاً " إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن وإن فيه
من الأباريق كعدد نجوم السماء. " البخاري

٢- حديث سهل بن سعد مرفوعاً: "إني فرطكم على الحوض من مر علي شرب ، ومن شرب لم يظماً أبدا ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم." البخاري

الثاني : صفة الحوض ومن أين يستمد مأؤه :

مأؤه اشد بياضا من اللبن واحلي من العسل آنيته عدد نجوم السماء من شرب منه لا يظماً أبدا يصب فيه ميزابان من الكوثر احدهما ذهب والآخر فضة وزواياه سواء اى طول له وعرضه واحد .

وأما تقديره :

فقد اختلفت الروايات في ذلك اختلافا كثيرا فقد ورد انه مسيرة شهر وورد انه كما بين المدينة وبيت المقدس وانه كما بين عدن وعمان وكما بين جرباء واذرح قرينان في الشام بينهما ثلاث ليال وهكذا .

قال القاضي عياض ما ملخصه : هذا الاختلاف لا يوجب الضعف لانه من اختلاف التقدير والتحديد لا من اختلاف الرواية لن ذلك لم يقع في حديث واحد فيعد اضطرابا . وإنما جاء في أحاديث مختلفة عن غير واحد من الصحابة سمعوه في مواطن متعددة وكان النبي يمثل لكل قوم الحوض بحسب ما يعلم المتكلم ويفهم السائل وبحسب مايسنح له من العبارة ويحدد الحوض بحسب مايفهم الحاضرون من الإشارة شرح مسلم النووي ٥٨/١٦"

الثالث : متى يرد الناس على الحوض ؟

الصحيح كما ذكر القرطبي انه قبل الصراط ولكن اختلف هل هو قبل الميزان أو بعده . قال أبو الحسن القابس : والصحيح أن الحوض قبل الميزان قال القرطبي والمعنى يقتضيه : فان الناس يخرجون عطاشا من قبورهم فيقدم قبل الميزان والصراط . وقيل بعد الصراط .

الرابع : هل الحوض هو الكوثر الذي أعطيه النبي ؟

ورد في الكوثر انه : نهر أعطيه النبي يوم القيامة . وورد انه في الجنة . قال القرطبي :
الصحيح أن للنبي صلى الله عليه وسلم حوضين وأن أحدهما في الموقف قبل الصراط .
والثاني في الجنة وكلاهما يسمى كوثرًا والكوثر في كلام العرب الخير الكثير .

الخامس : هل لكل نبي حوض . أو هو خاص بمحمد عليه السلام ؟
أخرج الترمذي عن سمرة بن جندب مرفوعا "إن لكل نبي حوضا وإنهم **يتباهون** أيهم أكثر
واردة وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة " وفيه مقال قال الالباني : جملة القول انه
بمجموع طرقه حسن أو صحيح ٥٠١. وهذا من عدل الله لكن الحوض الأعظم هو حوض
محمد عليه السلام شرح الواسطية للعثيمين ١٥٩/٢ التنبيهات ٢٣٤ " وأما ماورد أن لكل
نبي له حوض إلا صالح فحوضه ضرع ناقته فلا يثبت .
السادس : من أنكر الحوض :

أنكره المعتزلة والخوارج وهذا مبني على أصلهم كما تقدم .

٣- الميزان وتحتة عدة مباحث :

الأول مذهب أهل السنة والجماعة إثبات الميزان وان ميزان حقيقي حسي له لسان
وكفتان خلافا للمعتزلة الذين أنكروه وقالوا هو عبارة عن العدل وهذا تأويل فاسد
الثاني : هل الميزان واحد أو متعدد والله يقول " فمن ثقلت موازينه " الصحيح : انه
واحد وأما جمعها في القرآن فيجاء عنه بأجوبة

١- الميزان يشمل الكفتين واللسان ونحوه ولا يتم الوزن إلا باجتماعهما

٢- أن الميزان جمع باعتبار الموزون حيث انه متعدد وهى الأعمال أما الميزان فهو
واحد

٣- أن الجمع للتفخيم كما في قوله " كذبت ثمود المرسلين " مع انه لم يرسل إليهم
إلا واحد

الثالث : الحكمة من الميزان ؟

امتحان الخلق بذلك وبالإيمان به وبالتصديق به في الدنيا

إظهار علامة السعادة والشقاوة في الآخرة فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون "

إقامة الحجة على العباد وإظهار ما لهم من خير أو شر أمامهم
إظهار عدل الله لجميع عباده فلا أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك أرسل
الرسول مبشرين ومنذرين

إظهار فضل أهل الفضل والصلاح أمام الناس زاد المسير لابن الجوزي ١٧٠/٣ "
الرابع : ما الذي يوزن في الميزان ؟

١ - قيل أعمال العباد وهذا اختاره بن تيمية في الواسطية والعنيمين في شرحها
١٤٣/٢ "

• ولكن كيف توزن الأعمال وليس لها أجرام

يقال . ١- أن هذا مسلم به . والقاعدة أن أحوال الآخرة لا تقاس بالدنيا .

ت- أن هذه الأعمال وإن كانت وصفا ومعنى فإنها تنقلب إلى أعيان بقدرة الله ونظير
ذلك أن الموت يأتي يوم القيامة في صورة كبش بين الجنة والنار . ويدل لهذا القول
حديث أبي موسى الأشعري " والحمد لله تملأ الميزان " وحديث " ماشىء يوضع
في الميزان أثقل من حسن الخلق " وحديث " كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان
في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم. "

٢- وقيل صحائف الأعمال : ويشهد له حديث صاحب البطاقة واختار هذا ابن
عبد البر والقرطبي .

٣- وقيل صاحب العمل مع عمله ويشهد لهذا حديث أبي هريرة في الصحيحين
"إنه ليأتي الرجل العظيم **السمين** يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال
اقرؤوا {فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا} . "

ولكن أجيب عن هذا الحديث بأن هذا مثلاً ضربه النبي صلى الله عليه وسلم للذي
يعتد ببيع الأجزاء ليبين أن الله لا ينظر إلى الأجسام والأموال بل إلى القلوب
والأعمال .

الخامس : متى يكون الميزان . قال القرطبي : قال العلماء : إذا انقضى الحساب كان
بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقرير
الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها أ. هـ .

بقى أمور ما يحدث في اليوم الآخر لم يذكرها الناظم من أن هذا طلبا للاختصار وان مذكره هو مثال لغيره مما يجب الإيمان به مما سيكون يوم القيامة ومن هذه الأمور التي يجب الإيمان بها مما سيكون يوم القيامة: النفخ في الصور . وعودة الروح إلى الأجساد وقيام الناس من قبورهم إلى رب العالمين حفاة عراة ودنو الشمس من الناس ونصب الموازين ونشر الدواوين وهى صحائف الأعمال فاحذ كتابه باليمين واخذ كتابه بالشمال وحساب الله لعباده وتقريرهم بذنوبهم والصراط على متن جهنم والقنطرة بين الجنة والنار وكل هذه الأمور يثبتها أهل السنة وهى داخلة في الإيمان باليوم الآخر .

وقل يخرج الله العظيم بفضلہ ... من النار أجسادا من الفحم تطرح على النهر في الفردوس تحيا بمائه ... كحب حميل السيل إذ جاء يطفح أشار الناظم في هذين البيتين إلى مسألة الشفاعة في أهل الكبائر من عصاة الموحدين وعقيدة أهل السنة :

أنهم يثبتون الشفاعة في أناس من أهل التوحيد لكنهم دخلوا النار بذنوبهم فيأتى النبي صلى الله عليه وسلم وغيره فيشفعون لهم حتى يخرجوا من النار وهم كالفحم فيطرحون على أنهار الجنة فيفيض عليهم أهل الجنة من الماء حتى يحيون على أنهار الجنة كالحب في حميل السيل أى الذي يحمله السيل لان السيل إذا جاء حمل معه الجذور ثم يلقيها على جنبتيه ثم تحيا هذه البذور وتنبت بماء السيل :

ويدل لهذا النوع من الشفاعة أدلة كثيرة نذكر منها حديثان .

١- حديث أبى سعيد مرفوعا " أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماهم إماتة حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة فجاء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون **نبات الحبة** تكون في حميل السيل "

٢- حديث انس في الصحيحين مرفوعا "أن النبي يخرج ساجدا فيقال له : فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها. فأنطلق فأفعل ثم أرجع

إلى ربى فأحمده **بتلك المحامد** ثم أخر له ساجدا فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع.

فأقول أمتى أمتى. فيقال لى انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها.

فأنطلق فأفعل ثم أعود إلى ربى فأحمده **بتلك المحامد** ثم أخر له ساجدا فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب أمتى أمتى. فيقال لى انطلق فمن كان فى قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل "الحديث وهذه عامة للنبي وغيره .

- من خالف فى إثبات هذه الشفاعة :

أنكر هذا النوع من الشفاعة : الخوارج والمعتزلة بناء على أصل مذهبهم أن صاحب الكبيرة خالد مخلد فى النار . واستدلوا بما ورد فى القرآن " ولا يقبل منها شفاعة " ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع " والجواب على هذا من وجهين :

١- أن هذه الآيات مخصوصة بالكفار لان سياق الخطاب معهم

٢- أن الشفاعة المذكورة فى القرآن قسمان ١- شفاعة منفية : وهى الشفاعة للكافر والمشرى فهذه منفية فى آيات كثيرة منها ماتقدم ومنها قوله " فما تنفعهم شفاعة الشافعين " وهى مايزعمه المشركون أن آلهتهم تشفع لهم فنفى الله ذلك

ب- شفاعة مثبتة : التى أثبتها القرآن وهى لأهل التوحيد خالصة بشروط ثلاثة . ١- إذن الله للشافع . ٢- رضاه عن المشفوع له .

٣- رضاه عن الشافع .

وإن رسول الله **للخلق شافع ...** وقل فى عذاب القبر حق موضح

في الشطر الأول من هذا البيت أشار إلى نوع من أنواع الشفاعة الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم أن يعجل الله القضاء بين العباد بعد طول الوقوف عليهم وبعد مراجعتهم الأنبياء وهذه ثابتة في الصحيحين من حديث أبي هريرة وغيره .
وهذه الشفاعة أعظم الشفاعات لان فيها إراحة الناس من الكرب والغم وهى ثابتة بإجماع المسلمين كما ذكر بن تيمية ٣/٣١٣ "وأثبتتها حتى الخوارج والمعتزلة وهى خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم
ودليلها : حديث أبي هريرة " أنا سيد الناس يوم القيامة أتدرون بما ذاك يجمع الله الناس " متفق عليه

- فائدة / ذكر العلماء أن أقسام الشفاعة ثمانية أقسام :

- ١- الشفاعة العظمى : وهذه لا ينكرها أهل البدع كما تقدم .
- ٢- الشفاعة في دخول أهل الجنة الجنة بعد الفراغ من الحساب . ولا ينكرها أهل البدع كذلك .
- ٣- الشفاعة لأبي طالب في تخفيف العذاب عنه : وهذه معلومة ويشهد لها " هو في ضحضاح من نار .. "
- ٤- الشفاعة فيمن استحق النار من عصاة الموحدين أن يدخلها : وهذا يقول بن القيم : لم أجد عليه دليل بعد التبع للآية ٥١هـ .
وان كان نص على ثبوته النووي وابن تيمية وابن حجر والسفاريين لكن ليس فيه حديث صريح يستدل به عليه .
- ٥- الشفاعة فيمن دخل النار من عصاة الموحدين أن يخرج منها : وهذه تقدمت في البيت السابق .
- ٦- الشفاعة في رفع درجات بعض أهل الجنة : ودليلها دعاء النبي لأبي عامر الاشعري حين مات " اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك أو من الناس "
- ٧- الشفاعة في دخول بعض المؤمنين الجنة بلا حساب ولا عذاب . ويدل لها قصة عكاشة .

٨- الشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة : ولكن هذا لادليل عليه وقد ذكره مجردا بن كثير .

- وبعضها خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم : وهى النوع الأول والثاني والثالث .
- وبعضها عام له ولغيره من الأنبياء والمؤمنين : وهى النوع : الخامس والسادس .
- إشكال : جاءت أحاديث صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم " من قال لا اله إلا الله صادقا من قلبه حرم الله عليه النار " وورد في أحاديث الشفاعة " فيخرج من النار من قال لا اله إلا الله وفى قلبه من الإيمان ما يزن شعيرة : فكيف الجمع ؟
- اختار البخاري أن تحريم النار على من قال لا اله إلا الله هي لمن قالها تائبا مخلصا ثم مات على ذلك ولم يقترب سيئات وهذا الذي ذكره بن تيمية
- وأما الأحاديث التي فيها أن يخرج من قال لا اله إلا الله فالمراد : من يقولها لا ياتى بما يضعفها أو ينافيها من الذنوب . وليس المعنى أن من قال لا اله إلا الله فإنه يدخل الجنة مباشرة .

- ثم قال الناظم : وقل في عذاب القبر حق موضح

أشار هنا إلى إثبات عذاب القبر ونعيمه . وهذا من عقيدة أهل السنة وتقدم أن اشرنا إليه عند الكلام عند فتنة القبر و اشرنا إلى مسائل فلا حاجة لاعادتها وقد ورد أحاديث كثيرة ذكر فيها عذاب القبر فمنها

١- حديث سمرة بن جندب : حديث الرؤيا الطويل في البخاري هو في عذاب القبر لتارك الصلاة ورافض القران والزناة واكله الربا والكذابين .

٢- حديث بن عباس " إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير الحديث " وغيرها . فعلى المسلم أن يحتاط وان يسأل الله تعالى أن يعصمه من عذاب القبر كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل في الصلاة في آخر التشهد " وان يتجنب أسباب العذاب وكل الذنوب .

ولا تكفرن أهل الصلاة وإن عصوا ... فكلهم يعصي وذو العرش يصفح

أشار الناظم في هذا البيت والبيتين بعده إلى مسالة وهى مرتكب الكبيرة ما حكمه أو الفاسق الملي وهذه المسالة هي أول مسالة وقع فيها الخلاف في الإسلام .

وأشار إلى مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسالة ألا وهو :

أن المسلم لا يكفر بمجرد الذنب فما دام انه يصلى فانه مسلم له مال للمسلمين وعليه ما عليهم وان وقع في شيء من المعاصي الكبائر كالزنا وشرب الخمر أو الصغائر .
ويشهد لهذا حديث انس مرفوعا " من صلى صلاتنا واكل ذبيحتنا واستقبل قبلتنا فهو المسلم له مالنا وعليه ماعلينا " البخاري .

ويعتقدون :

أن الفاسق الملي يدخل في مطلق الإيمان وان كان لا يدخل في الإيمان المطلق الكامل فيقال له مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته .
وان الفاسق الملي أخ لجميع المؤمنين فالزاني أخ للعفيف والسارق أخ المسروق والقاتل أخ للمقتول :

والأدلة على هذا الأصل كثيرة جدا :

لكن منها :

١- قوله تعالى " **فمن عفي** له من أخيه شيء فإتباع بالمعروف " فسمى القاتل أخا للمقتول .

ث- قوله تعالى " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا " إلى قوله " إنما المؤمنون إخوة

فأصلحوا بين أخويكم " فسماهم مؤمنين مع وجود الاقتتال .

ولكن هنا ننبه إلى أمر وهو : أن هذا الكلام هو في المعاصي من الكبائر والصغائر . أما مباني الإسلام الأربع الصلاة والصيام والزكاة والحج ففيها نزاع مشهور بين أهل السنة ليس هذا مجاله .

-أما الصلاة : فذهب كثير من أهل السنة إلى كفر تاركها بالكلية ثمأونا وتكاسلا لأدلة كثيرة :

منها " بين الرجل والكفر ترك الصلاة " " العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر "

ثم أشار الناظم بقوله فكلهم يعصي وذو العرش يصفح
إلى حديث " كل بني ادم خطا وخير الخطائين التوابون " وان العبد متى ما ذنب فذنبه
لا يخلو من حالتين :

ا- ان يكون من الصغائر : فهذه تكفرها الأعمال الصالحة وفي الحديث " **الصلوات الخمس**
والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن » .

ب- أن يكون من الكبائر: فإنها تحتاج إلى توبة صادقة فإذا تاب منها تاب الله عليه ولو
كثرت كبائره فان مات على التوحيد ولم يتب من الكبائر فهو تحت المشيئة إن شاء عذبه
وان شاء غفر له .

ولا تعتقد رأي الخوارج إنه ... مقال لمن يهواه يردي ويفضح

ولا تك مرجيا لعوبا بدينه ... ألا إنما المرجي بالدين يمزح

أشار في هذين البيتين إلى مخالف أهل السنة في مسألة : مرتكب الكبيرة .

الفرقة الأولى : الخوارج : قالوا أن مرتكب الكبيرة هو في الدنيا كافر وفي الآخرة
خالد مخلد في النار وقريب منهم المعتزلة : حيث قالوا ك مرتكب الكبيرة في الدنيا
لامؤمن ولا كافر ولكن بمثلة بين المثلتين وأما في الآخرة فهو خالد مخلد في النار .
والخوارج : أول من خرج من فرق الضلال وقد خرجوا في عهد الصحابة رضي الله
عنهم . وسموا خوارج لأحد أمرين

ا- خروجهم على الخليفة على بن أبي طالب وتكفيرهم له ومناصبته العدا

ب- خروجهم على السنة سواء ما يتعلق بولي الأمر أو غير ذلك من المسائل التي ضلوا
فيها

- ماهو دليل الخوارج وكذا المعتزلة على مذهبهم في تخليد مرتكب الكبيرة .

استدلوا بقول الله تعالى " انك من تدخل النار فقد أخزيته " وغيرها من نصوص

الوعيد

الفرقة الثانية : بالنقيض منهم المرجئة : ومذهبهم في مرتكب الكبيرة انه مؤمن كامل الإيمان وان إيمان افسق الناس الزاني الشارب السارق كإيمان أبي بكر وعمر بل كإيمان رسول الله صلى الله عليه وسلم لافرق

- والمرجئة : أو الإرجاء : التأخير ومنهن قوله " ارجه وأحاه "
 - وسموا المرجئة : لأنهم أخرجوا العمل عن الإيمان وقالوا ليس العمل من الإيمان .
- ويأتى بيان زيادة لهم

- وتقدم أن الصواب رأى أهل السنة والجماعة في هذه المسألة

وهذا معنى قول الناظم في هاتين البيتين : لكن بقى بعض الألفاظ نيينها لمن : يهواه : اى يعتقد . يردى ويفضح : يلحقه بالردى والفضيحة لمخالفته أهل السنة والخسران في الدنيا والآخرة. ألا إنما المرجى بالدين يلعب : فاعتقاد المرجئة لعب بالدين إذ كيف يكون افسق الخلق وأفجرهم كإيمان أكمل الخلق وهذا القول هو الذي جرا الضلال على مقارفة الكبائر بحجة انه لا يضر مع الإيمان ذنب .

وقل إنما الإيمان قول ونية ... وفعل على قول النبي مصرح
أشار الناظم إلى مسألة من أعظم مسائل الاعتقاد : وهى مسألة الإيمان والإيمان لغة : قيل التصديق . وعند بن تيمية : أن الإيمان ليس هو التصديق في اللغة بل هو الإقرار والطمأنينة ويتضمن التصديق . وهذا أحسن لأمرين
لأن كلام الله أمر وخبر فلخبر يستوجب التصديق والأمر يستوجب الانقياد وأما التصديق فإنما يعرض للخبر فقط زان كلمة " صدقت " لاتعطى معنى كلمة " آمنت " فان " آمنت " تدل على طمأنينة بخبره أكثر من صدقت " اختاره العثيمين "
واصطلاحا : وقع فيه الخلاف فيما يدخل فيه اسم الإيمان
وعند أهل السنة : أن الإيمان قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح .

١- قول القلب : هي العقائد التي يعترف بها القلب ويعتقدها كاعتقاد ما خبر به الله عن نفسه وأسمائه وصفاته وملائكته وأفعاله .

٢- عمل القلب : حركته التي يحبها الله ورسوله كالإخلاص والتوكل والمحبة والخوف والرجاء والصبر ونحوه من أعمال القلوب وينشا عن هذه الأعمال القلبية أعمال الجوارح وأقوال اللسان .

فالفرق إذن بين قول القلب وعمله : أن قول القلب : اعتقاده . وعمل القلب : أعمال القلوب المعروفة التي ينشا عنها أعمال الجوارح واللسان .
قول اللسان : النطق والتكلم بكلمة الإسلام وغيرها مما يدخل في الإيمان كالذكر والقرآن .

عمل اللسان والجوارح : كالصلاة والجهد ونحوها .

فتلخص لنا : أن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية

- الأدلة على هذا الأمر وعلى دخول الأعمال في مسمى الإيمان
١- قوله تعالى " وما كان الله ليضيع إيمانكم "

٢- عن أبي هريرة مرفوعا " الإيمان **بضع وسبعون** أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، " ففي الحديث قول اللسان وهو الشهادة وعمل الجوارح وهو الإمطة وعمل القلب وهو الحياء .

٣- روى اللالكائي بإسناد صحيح عن البخاري قال " لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت احدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص .
*من خالف أهل السنة في هذا وفي دخول الأعمال في الإيمان ؟ خالفهم في ذلك ثلاث طوائف .

١- الجهمية : وقالوا أن الإيمان هو مجرد المعرفة فإذا عرف العبد ربه بقلبه فهو مؤمن وإن لم يعمل شيئا من أعمال الإيمان . وهؤلاء يسمون : مرجئة الجهمية ونشا القول بهذا في أول القرن الثاني ولهذا فهم يقولون : إيمان إبليس كإيمان أبي بكر فهذا يقول يارب وهذا يقول

يارب . وهذا القول هو أخطر الأقوال وأفسدها ولذا فإن العلماء كفروا بالجهمية . وكثير منهم أخرجهم من طوائف الإسلام .

وقال الإمام في الرد عليهم : يلزمه أن يقول إذا أقر وشد الزنار وصلى للصليب واتى الكنائس والبيع وعمل الكبائر كلها إلا أنه في ذلك يقر بالله فيلزمه أن يكون عنده مؤمنا . قال بن تيمية وهذا الإلزام لا محيد عنه

٢- المرجئة : قالوا أن الإيمان التصديق بالقلب فقط . وهذا قال به الماتريدية والفرق بين هذا القول والذي قبله : أن هؤلاء يدخلون أعمال القلوب كالحبة والرجاء والتوكل وغيرها في الإيمان

٣- الكرامية : قالوا أن الإيمان مجرد النطق وقول اللسان وحده

٤- مرجئة الفقهاء : قالوا أن الإيمان قول واعتقاد قول اللسان واعتقاد القلب . وهذا مروي عن أبي حنيفة

واعلم أن كل هذه الطوائف الأربع يطلق عليها اسم المرجئة في هذه المسألة وقول أبي حنيفة ومن معه من مرجئة الفقهاء وإن كان قولاً مبتدعاً لم يوافقهما عليه حيث أخرجوا الأعمال من الإيمان إلا أنهم وافقوا أهل السنة في أمور منها .

١- أن الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار ثم يخرجهم بالشفاعة

٢- أنه لا بد في الإيمان أن يتكلم بلسانه

٣- أن الأعمال المفروضة واجبة وتاركها مستحق للعقاب والدم إذن ماذا يقولون في الأعمال .

يقولون أن الأعمال ثمرة الإيمان أو دليل على الإيمان أو هي من مقتضى الإيمان .

س هل يمكن القول بأن الخلاف بين مرجئة الفقهاء وبين أهل السنة لفظي ؟

الحقيقة أنه ليس لفظياً بل حقيقياً . وللزيادة راجع شرح الواسطية ففيه تفصيل وذكر

أدلتهم والرد عليها وأذكر هنا مثالا من الفرق وإن التزاع حقيقي : بأن السلف يقولون

لا يجوز أن يقول أحد أن إيمان جبريل وهؤلاء يقولون يجوز والسلف يقولون بزيادة

الإيمان ونقصانه وهؤلاء يقولون : لا يزيد ولا ينقص وهكذا "راجع ظاهرة الإرجاء

للحوالي "

وينقص طورا بالمعاصي وتارة... بطاعته ينمي وفي الوزن يرجح
ينمى : يزيد بالطاعة . في الوزن يرجح : يثقل في الميزان عند الله لأنه زاد بالطاعة .
أشار الناظم إلى مسألة متعلقة بمسألة الإيمان وهى مسألة زيادة الإيمان ونقصانه
ومذهب أهل السلف أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والأدلة على
هذا كثير منها قوله " ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم " وقوله " وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً "
ومن السنة حديث أبي هريرة في الزيادة " الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة،
فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، " وأما في النقص فحديث "
ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن "

وخالف في ذلك الخوارج والمرجئة
فالخوارج والمعتزلة قالوا الإيمان مجموع ما أمر الله به ورسوله وهو الإيمان المطلق فإذا
ذهب منه شيء ذهب كله فالإيمان لا يزيد ولا ينقص بل يذهب بالكلية إذا فعلت
المعصية .

والمرجئة على النقيض قالوا أن الإيمان لا يتجزأ فلا يضر مع الإيمان ذنب ولا تؤثر
الذنوب في الإيمان نقصاً ولا في الصالحات في الإيمان زيادة لأنهم لا يدخلون الأعمال في
الإيمان كما تقدم .

قال بن تيمية : والأصل الذي أوقعهم في هذا هو اعتقادهم انه لا يجتمع في الإنسان
بعض الإيمان وبعض الكفر أو ما هو إيمان وما هو كفر.هـ.
وقد عرفت : أن الحق قول أهل السنة أن الإيمان يزيد وينقص ويدل لذلك ما تقدم
وكذلك قوله تعالى " إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم
آياته زادتهم إيماناً " قال بن تيمية رحمه الله : وهذه يجده المؤمن إذا تليت عليه الآيات
ازداد قلبه بفهم القرآن وفهم معانيه من علم الإيمان ما لم يكن حتى كأنه لم يسمع الآية

إلا حينئذ ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرغبة من الشر ما لم يكن فيزداد علمه بالله ومحبه لطاعته وهذا زيادة الإيمان ا.هـ. انظر كتاب الإيمان لشيخ الإسلام " وإذا تيقنت هذا :

فعليك أن تسعى لزيادة إيمانك وتفقدته وهذا يكون بالأعمال الصالحة التي بها يزيد الإيمان ويرجح ميزان الحسنات بإذن الله .

ودع عنك آراء الرجال وقولهم ... فقول رسول الله أزكى وأشرح أشار الناظم في هذا البيت إلى أصل عظيم في الاعتقاد ك وهو الإتياع وعدم الابتداع . واصل الإتياع : إتياع قول الله ورسوله . واصل الابتداع : الأخذ بالرأى المذموم . واعلم أن الرأى نوعان :

-رأى محمود : وهو الذي يستند إلى الدليل والاستنباط من النصوص
-رأى مذموم : وهو الذي يستند إلى التخرس والتخمين والظن وتقديم العقل على النقل والأثر . وهذا الذي ورد فيه الذم عن السلف وهو الذي أوقع أهل البدع والمحدثات فيما أوقعهم فيه من الضلال والانحراف والغواية .

-قال الاوزاعى : عليك بالأثر وان رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وان زخرفوه لك بالقول فان الأمر ينجلي وأنت على صراط مستقيم ا.هـ.

-وصدق رحمه الله : فقد يزخرف القول والرأى فيظن الظان انه الصواب والحق .
-ومثال ذلك : مايقوله المعطلة النفاة : أن الله إذا وصف بالصفات التي تشابه صفات المخلوق فان هذا يعنى انه يشبه خلقه والله يقول " ليس كمثله شيء " فيتخذونه مدخلا لنفى الصفات .

ومثال آخر قول بعض أهل الضلال . انه لايليق بالله أن يتزل من عرشه إلى السماء الدنيا فان هذا يستلزم أن يخلو منه العرش أو انه يكون فوقه شيء من مخلوقاته . وغير ذلك من اللوازم الباطلة المردودة . وما جاءهم هذا الضلال إلا لما تركوا قول الله وقول الرسول وقول السلف واتبعوا آرائهم وحكموا عقولهم في كل شيء فما خالف عقولهم ردوه ولو

قاله الله ورسوله وما وافق عقولهم لا لأنه ثبت عن الله ورسوله وإنما لان العقل يقتضيه :
وقد أحسن من قال

وقال أبو عمر بن عبد البر: أنشدني عبد الرحمن بن يحيى أنشدنا أبو علي الحسن بن الخضر
الأسيوطي بمكة أنشدنا عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه:

دين النبي محمد أثار... نعم المطية للفتى الأخبار

لا تخدعن عن الحديث وأهله... فالرأي ليل والحديث نهار

ولربما جهل الفتى طرق الهدى... والشمس طالعة لها أنوار

ولبعض أهل العلم:

العلم قال الله قال رسوله... قال الصحابة ليس خلف فيه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة... بين النصوص وبين رأي سفيه

كلا ولا نصب الخلاف جهالة... بين الرسول وبين رأي فقيه

كلا ولا رد النصوص تعمدا... حذرا من التجسيم والتشبيه .

ورضي الله عن علي بن أبي طالب حين قال " لو أن الدين بالراى لكان أسفل الخف أولى

بالمسح من أعلاه " فلم يحكم رأيه بالدين وإنما وقف عند فعل النبي عليه الصلاة والسلام .

قول الناظم : أزكى : اظهر واصفي واخلص من جميع آراء الناس وأقوالهم .

اشرح : أبين وأوضح وانصح من كل آراء أهل الضلال

٣٢- ولا تك من قوم تلهو بدينهم... فتطعن في أهل الحديث وتقذح

يقول الناظم رحمه الله : إياك أيها المهتدى بهدى الكتاب والسنة أن تكون من قوم اتخذوا

دينهم لها ولعبا وجعلوا الدين تبعا لأهوائهم ، ونتيجة لهذا الأمر : سخرُوا واستهزؤا

وطعنوا في أهل الحديث وهم أهل الحق المتمسكون بالكتاب والسنة الذين يقدمون أمر الله

وأمر رسوله على غيرهما لكن أهل الأهواء شرقوا بذلك ولم يرق لهم هذا المنهج فراحوا

يطعنون في أهل الحديث والمراد بهم أهل الكتاب والسنة بشتى الطعون . فمرة يقولون :

علم هؤلاء لا يخرج من سراويل امرأة ويلمزونهم به لكلامهم عن الحيض والنفاس . ومرة يقولون : أنهم لا يعرفون حقائق نصوص الصفات مثلا ومرة يسمون منهمجهم ويقولون طريقة الخلف اعلم واحكم : ومرات كثيرة يؤذون أهل السنة بالفعل كما وقع للإمام احمد وابن تيمية وغيرهم وان لم يتلفظوا بألسنتهم فلربما كان مؤدى أهوائهم وأرائهم الطعن في أهل الحديث :
فإياك ثم إياك :

أن تسلك طرق أهل الغواية والضلال وسلم قلبك ولسانك لإخوانك المسلمين ولا سيما أهل العلم والحديث منهم وسل الله أن يجمعك بهم في الفردوس الأعلى وادع الله لهم على ما يقومون به من بذل للدفاع عن حياض عقيدة المسلمين وإذا رأيت من يذمهم فتذكر قول الحق تعالى " إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون (٢٩) وإذا مروا بهم يتغامزون (٣٠) وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين (٣١) وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون (٣٢) وما أرسلوا عليهم حافظين (٣٣) فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (٣٤) "

٣٣- إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه ... فأنت على خير تبیت وتصبح

ختم الناظم قصيدته بان قال رحمه الله مامعناه : هذه العقيدة هي عقيدة السلف فان أنت اعتقدت مافيها مما دل له الكتاب والسنة فانك بإذن الله على خير عظيم وذلك .

١-لأنك عرفت عقيدة السلف واتبعتها وعرفت أدلتها

٢-ولأنك سلمت من مذاهب أهل البدع والضلال بعد أن تبينتها .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد واله وصحبه أجمعين .